ظاهرة تناوب حروف الجر في الدرس النحوي

د. ابتهال محمد علي البار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ظاهرة تناوب حروف الجر في الدرس النحوي

د.ابتهال محمد علي البار

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الملك عبدالعزيز–جدة

المقدمة:

يهدفُ هذا البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة تناوب حروف الجر في الدرس النحوي العربي، ويُوظّفُ المنهجية الوصفية التحليلية في الدراسة، وتأتي أهمية الموضوع من كون الحروف تمثّل ثلث اللغة التي نستعملها، وأكثر الحروف حيوية في السياقات المختلفة هي حروف الجر لصلتها بالأسماء، و سوف يقفُ البحثُ على أسباب شيوع استخدام حروف الجر في اللغة العربية، ووظيفة الحروف في الجمل ، وعلّة عمل الحروف في رأي النحاة القدامى من خلال تحليلهم للظاهرة، و سوف يناقش البحث قضية زيادة بعض حروف الجر، والمعنى المقصود من الزيادة، وكذلك قضية تضمين الفعل معنى فعل آخر في رأي البصريين، وقضية تناوب حروف الجر كما يراها الكوفيون من النحاة.

تسمية الحروف:

تنقسم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، وقد عُرف ذلك بالاستقراء[1]، فالاسم هو مادل على معنى في نفسه من غير أن يدل على زمن، والفعل ما دل على معنى في نفسه مع اقترانه بزمن، والحرف ما دل على معنى في غيره.[2]

ويُعرّف ابن منظور الحرف بأنه" الأداة التي تسمى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم، والفعل بالفعل، كعن وعلى وغيرهما"[3]، وعرّف النحاة الحرف بأنه: كلمة تدل على معنى في غيرها فقط، لأن الفعل لا يدل على معنى في غيره، وكذلك أكثر الأسماء، فالحرف لا يظهر معناه إلا مع غيره، فالباء لا تدل على معنى الإلصاق وهي مجردة، وإنما يظهر معناها مع غيرها من الأسماء كقولنا: "أمسكت الحبل بيدي"، وكذلك سائر الحروف. وأما تسميته فالحرف سُمّي بذلك لأنه طرف في الكلام، حتى وإن وقع في وسطه، نحو: "مررت بعمرو" ، فقد وقع الحرف في حشو الجملة؛ لكنه طرف في المعنى، بمعنى أنه لا يكون عمدة، بل هو دائما فضلة، والعمدة في الجملة العربية هي المسند والمسند إليه، وما سواهما يُعدّ فضلة.

وقيل سُمّي الحرف بذلك لأنه يأتي على وجه واحد، ومنه قوله تعالى(ومِن النَّاسِ من يعبدُ اللهَ على حرفٍ)(الحج: 11) أي على وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء دون الضراء، وذلك لشكّه فإن غيّر الله حاله وامتحنه بالشدائد كفر، وكذلك الحرف الأصل فيه أن يكون على معنى واحد وقد يُتوسّع في معانيه فيُستعمل لمعانٍ أخرى.[4]

والحروف تمثّل ثلث اللغة التي نستعملها، وأكثر الحروف حيوية في السياقات المختلفة هي حروف الجر لصلتها بالأسماء، واختصاصها بها، وأثبتت بعض الدراسات أن استعمال

---

[1] ابن هشام، **قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت: المكتبة العصرية) 1994م، ص39

[2] انظر: ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، (بيروت: المكتبة العصرية) 1995م، ج1/ ص19، 20

[3] ابن منظور، محمد، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر) 1414هـ، ج9، ص41، 42

[4] انظر: المرادي، الحسن، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد فاضل،(بيروت: دار الآفاق) 1983م، ص20-24

الأسماء المجرورة أكثر الأسماء المنصوبة والمرفوعة، فالأسماء المجرورة تتفوق على غيرها بنسبة كبيرة، والأسماء المجرورة بالحروف تزيد نسبتها في الاستخدام على الأسماء المجرورة بالإضافة والمجرورة بالتبعية. ومعنى ذلك أن الاسم المجرور بالحرف أكثر شيوعا في الاستعمال اللغوي من الأسماء المنصوبة والمرفوعة، ويُلحظ أن الاسم المجرور بالحرف يبلغ ربع الأسماء المستخدمة في اللغة تقريبا، وأن حروف الجر تُجسّد سُبع المفردات التي نستعملها في اللغة، ويرجع سبب انتشار حروف الجر في الاستخدام اللغوي إلى عدة أسباب، لعل أبرزها ما يأتي:

-كثرة حروف الجر في حد ذاتها.

-كثرة معانيها، فبعض حروف الجر تصل معانيها إلى عشرين معنى.

-التضمين الذي يسمح باستخدام حرف مكان آخر وفق ضوابط لغوية.

-تناوب بعض الحروف مكان بعض، وفق ضوابط لغوية.

-استعمالها أصلية وزائدة.

-استعمالها مع الأفعال اللازمة، والأفعال اللازمة أكثر شيوعا في الاستعمال اللغوي من الأفعال المتعدية.[1]

وظيفة الحروف:

حروف الجر تصل ما قبلها بما بعدها، فتصلُ الاسم بالاسم والفعلَ بالاسمِ، مثل: البيتُ لزيدٍ، وأما وصلها الفعل بالاسم فنحو: مررتُ بعمرو، فحرف الجر هو الذي أوصل المرور لعمرو.، على خلاف الأفعال المتعدية التي تصل إلى مفعولها مباشرة، نحو: ضربتُ زيدا، وصافحت خالدا.[2]

---

[1] انظر: عمار، محمود، ، **الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر**،(الرياض:دار عالم الكتب)1998م ص40-ص45

[2] انظر: ابن السراج، محمد، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة) 1999م، ج1، ص408

وتُسمى حروف الجر حروف الإضافة؛ نظرا لوظيفتها؛ لأنها تُضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها، مثل: عجبتُ من زيد، فحرف الجر هو الذي " أضاف معنى الفعل عجب" إلى الاسم الذي بعده. كما يُطلق عليها حروف الجر؛ لأنها تجرّ ما بعدها من الأسماء بمعنى أنها تخفضها، وتُسمّى عند الكوفيين حروف الصفات؛ لأنها تقع صفاتٍ لما قبلها من النكرات.

علة عمل الحروف :

يُعلّل النحاة سبب عمل حروف الجر بأن بعض الأفعال تصل إلى مفاعيلها بحرف الجر لضعفها، بخلاف الأفعال المتعدية التي تصل إلى مفاعيلها مباشرة دون واسطة وذلك لقوّتها؛ نحو: مررتُ بزيدٍ، وضربتُ عمرا، فأرادوا التمييز بين الفعل الذي يصل بنفسه والفعل الذي يصل بغيره ليتّضح السبب الأقوى من الأضعف، وعملت هذه الحروف الجر ليُخالف ما بعدها لفظ الفعل القوي، الذي يعمل النصب في الاسم الذي يليه. [1]

وتقوم الحروف بوظيفة معنوية وهي الاختصار في الكلام، فحين يُقال: ليس عمرو بنائم، نابت الباء عن "حقا" و"البتة"، وإذا قيل: أمسكت بالقلم، فقد نابت الباء عن قولنا : مباشِرا له، وملاصقة يدي له، وإذا قيل: أكلتَ من المال، نابت "من" مناب بعض، أي أكلت بعض المال، وهكذا جميع الحروف.[2] وإذا قمنا بتحليل الجملة السابقة وجدنا أن أصلها كان على النحو الآتي:

أكلت بعض المال ⟵ استبدال (استبدل بكلمة بعض حرف الجر"من").
أكلت من المال.

---

[1] انظر: ابن يعيش، علي، **شرح المفصل**، (عالم الكتب: بيروت) ج8، ص7-8

[2] ابن جني، أبوعثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد النجار، (بيروت: دار الكتاب العربي) ج2، 276، عمار: محمود، **الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر**، ص24

فالبنية العميقة للجملة كانت: أكلت بعض المال، ثم طرأ عليها تحويل بالاستبدال، فاستبدلت كلمة بعض بحرف الجر "مِن"، فظهرت البنية السطحية للجملة على شكل: أكلت من المال.

والتحويل هو: عملية تغيير تركيب لغوي إلى آخر بتطبيق قانون تحويلي واحد أو أكثر.[1]

والاستبدال: هو إحدى العمليات التحويلية التي تطرأ على الجمل، وهو وضع كلمة مكان أخرى، أو مكان تركيب آخر لأداء نفس الوظيفة النحوية، مع الحفاظ على مقبولية الجملة من الناحية الدلالية.[2]

زيادة حروف الجر:

تزاد حروف الجر للتوكيد؛ لتقوية المعنى الأساس، بمعنى أنه يمكن الاستغناء عنها من غير أن يتأثّر المعنى المراد، من ذلك حرف الجر (الباء) وهو حرف يأتي زائدا، وغير زائد، وقد ذكر النحاة من معاني الباء غير الزائدة ثلاثة عشر معنى، منها ما يأتي:

- الإلصاق: وهو أبرز معاني الباء، أو هو المعنى الأصلي وما سواه من المعاني هو توسّع. وقد يكون الإلصاق حقيقيا، أو مجازيا، فمن الأول " أمسكتُ القلم بيدي" ومن الثاني: مررتُ بعمرو، بمعنى التصق مروري به.
- التعدية: وباء التعدية هي التي تقوم مقام الهمزة في إيصال معنى الفعل اللازم إلى المفعول به، من ذلك ، صككتُ الحجرَ بالحجر، ودفعتُ بعض القوم ببعض.

فأصل الكلام: صكّ الحجرُ الحجرَ، ودفع بعض القوم بعضا.

-الاستعانة: نحو: كتبتُ بالقلم، وقاتلت بالسيف.

-التعليل: نحو: غضبتُ لفلان، أي من أجله إذا كان حيا، ويُقال : غضبتُ به، إذا كان ميتا وغضبت من أجله.

---

[1] الخولي، محمد، **معجم علم اللغة النظري**، (بيروت، مكتبة لبنان) 1991م، ، ص290.

[2] انظر: المرجع السابق ، ص273

-الظرفية: إذا جاءت بمعنى "في" نحو قوله تعالى : (ولقَدْ نَصَركم اللّهُ ببدرٍ وأنْتُم أذلّةٌ)(آل عمران :123) أي في بدر.

-المجاوزة: أي أن تأتي بمعنى "عن" نحو قوله تعالى: (سَأَلَ سَآئلٌ بعَذَابٍ وَاقِعٍ) (المعارج:1) أي : عن عذاب واقع.

-الاستعلاء: أي تأتي بمعنى "على"، نحو قوله تعالى: (وإذا مَرُّوا بِهِم) (المطففين: 29) أي عليهم، كما جاء في قوله (وإنكم لتمرون عليهم).

-التبعيض: أي أن تأتي بمعنى "من" نحو قوله تعالى: (يَشربُ بِها عِبادُ اللهِ) (الإنسان: 6) أي منها.[1]

وقد تأتي "الباء" حرف جر زائد في مواضع، منها المواضع الآتية:

- زيادتها مع الفاعل مثل: أكرم بزيد، ومع المفعول نحو: (ولا تُلقُوا بِأيْدِيكُم إلى التَّهْلُكَة) (البقرة: 195) وقيل المراد بسبب أيديكم، وتزاد مع المبتدأ، نحو: بحسبك دينار، وخرجتُ فإذا بعمرو، وتزاد مع الخبر، نحو: ليس محمد بنائم، (وما اللهُ بِغَافِلٍ) (البقرة: 74).[2]

وإذا قمنا بتحليل أصل الجمل السابقة وما طرأ عليها من تحويل، فإننا نجد الآتي:

ليس محمد نائما ← زيادة

ليس محمد بنائم.

والزيادة أو الإضافة: هي إحدى العمليات التحويلية التي تطرأ على الجملة ، يتم فيها إضافة عنصر لغوي، ويُمكن تمثيلها بالشكل الآتي:

أ+ب ⟵ أ+ب+ج.[3]

---

[1] انظر: المرادي، الحسن، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ص36- ص43

[2] انظر: أبو محمد عبدالله، ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج1، ص123-128

[3] انظر: الخولي، محمد، **معجم علم اللغة النظري** ، ص5

فالبنية العميقة للكلام هي: (ليس محمد نائما)، ثم طرأ عليها تحويل بالزيادة، فظهرت البنية السطحية بشكل : (ليس محمد بنائم).

وأيضا حرف الجر"**مِن**" يأتي زائدا، وغير زائد، وذكر النحاة لغير الزائد معاني كثيرة، بلغت أربعة عشر معنى، لعل أبرزها ما يأتي:

-ابتداء الغاية في المكان اتفاقا بين البصريين والكوفيين، نحو: هذا من فلان إلى فلان، و تفيد ابتداء الغاية في الزمان عند الكوفيين، نحو قوله تعالى: (مِنْ أوّلِ يَوْمٍ) (التوبة: 108)، وأوّل البصريون الآية بتقدير: من تأسيس أول يوم.

-التبعيض: ودليلها أن تحل محلّها كلمة بعض، نحو: أكلتُ من الطعام، أي : بعض الطعام.

-التعليل: مثل قوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أصَابِعَهُمْ فِي آذانِهِم مِن الصَّوَاعِقِ) (البقرة: 11).

-البدل، مثل قوله تعالى: (أَرَضِيتُم بِالحَياةِ الدُّنيا مِن الآخِرة) (التوبة: 38) بمعنى بدل الآخرة.

-المجاوزة: أي أن تأتي بمعنى "عن" مثل قوله تعالى: (أَطْعَمَهُم مِن جُوعٍ)(قريش: 4) أي عن جوع.

-الاستعلاء: أي أن تكون بمعنى "على"، مثل قوله تعالى: (ونَصَرْناهُ مِن القَوْمِ) (الأنبياء: 77) أي على القوم.

-الفصل: وعلامتها دخولها على ثاني المتضادين، أو على ثاني المتخالفين من غير تضاد، مثل: قوله تعالى: (حتَّى يَمِيزَ الخبيثَ مِن الطَّيِّبِ) (آل عمران: 179)، وقولهم: لا يعرف كوعه من بوعه.

- بمعنى الباء، وهذا المعنى عند الكوفيين،نحو: ضربتُ العدو من السيف أي بالسيف.[1]

[1] انظر: المرادي، الحسن، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ص308- ص314

كما تأتي **"من " زائدة**، وذلك في حالتين، هما:

- الزيادة لتوكيد الاستغراق مع كل نكرة مختصة بالنفي، وتدخل على الأسماء التي بمعنى العموم، نحو: "ما جاء من أحد"، لأن " ماجاء أحد" و"ما جاء من أحد" كلاهما يفيد العموم، لكن دخول (من) يُفيد معنى التوكيد.
- قد تأتي زيادة "من" لاستغراق الجنس، بمعنى التنصيص على العموم، وهي التي تدخل على الأسماء النكرة غير المختصة بالنفي، نحو: ما في البيت من امرأة، لأن "ما في البيت امرأة" تحتمل ما في البيت امرأة بل امرأتان، فلما زيدت "مِن" صار نصا في العموم.[1]

وإذا قمنا بتحليل جملة من الجمل السابقة؛ فإننا نجد الآتي:

ما في البيت امرأة ⟵ زيادة

ما في البيت من امرأة.

فالبنية العميقة للكلام كانت : (ما في البيت امرأة) ثم طرأ عليها تحويل بالزيادة، فظهرت البنية السطحية بصورة (ما في البيت من امرأة).

وحرف الجر **"اللام" أيضا يُستعمل زائدا ، وغير زائد** ، فمن استعمالها غير زائدة ما يأتي:

-تأتي بمعنى الاختصاص، مثل الجنة للمتقين. وقيل هو أصل معانيها.

-للاستحقاق، مثل: النار للجاحدين، وقيل: هو معناها العام.

-تأتي لانتهاء الغاية، نحو (كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى) (لقمان: 29).

-تأتي للملكية، نحو: المال لعمرو.

-للتعدية ، مثل: وهبتُ لعمرو كتابا.

-للتعليل: حضرتُ لإكرامك.

[1] انظر: المرجع السابق نفسه، ص316، 317

-التعجب، نحو: يا للماءِ، ويالليخيرِ، إذا تعجبوا من كثرته.

-أن تكون بمعنى على، نحو قوله تعالى: (ويَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) (الإسراء: 109)أي على الأذقان.

- أن تكون بمعنى بعد، مثل (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلوكِ الشَّمْسِ)(الإسراء: 76) .

-أن تكون بمعنى من ، مثل: سمعت له صراخا ،أي منه.[1]

اللام الزائدة، تأتي في مواضع، لعل أبرزها ما يأتي:

- اللام المُقحَمة بين المتضايفين نحو قولهم: يا بؤسَ للحرب، والأصل يا بؤس الحرب.
- زيادتها في بعض المفاعيل وتسمّى لام التقوية، لأنها تقوي عاملا ضعُف لكونه فرعا في العمل، مثل قوله تعالى: (فَعّالٌ لِمَا يُرِيْد) (البروج:16) ، وقوله تعالى :(مُصدِّقًا لِمَا مَعُهم)(البقرة: 91). والأصل أن يصل المشتق لمفعوله مباشرة دون حرف جر ، أي: فعال ما يريد، ومصدّقا الذي معهم.[2]

وإذا قمنا بتحليل جملة من الجمل السابقة، فإننا نجد الآتي:

فعّال الذي يريد ← استبدال

فعال ما يريد← زيادة

فعال لما يريد.

فالبنية العميقة للكلام كانت (فعَّال الذي يريد) ثم طرأ عليها تحويل بالاستبدال، فاستخدم الاسم الموصول (ما) بدلا من (الذي) ثم زيدت اللام، فظرت البنية السطحية بصورة : (فعّالٌ لِمَا يرُيْد) (البروج: 16).

---

[1] انظر: ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج2، ص21 -ص22، والمرادي، حسن، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ص96-ص102.

[2] انظر: ابن هشام، عبدالله، **مغني اللبيب**، ج1، ص241، 242

قضية التضمين، وتناوب حروف الجر:

يعالج النحاة المخالفة بين ظاهر النص، وقواعد اللغة؛ إذ توجد تراكيب يتعدَّى فيها الفعل بحرف جر آخر ليس مما يتعدّى به، فيحتاج النحوي لتقدير فعل آخر متناسب مع الفعل الأصلي في المعنى، ويصح أن يتعدّى بحرف الجر الوارد في النص. وتسمى هذه العملية بالتضمين، ويعرّف النحاة بأنه: إعطاء الشيء معنى الشيء ويكون في الأسماء والأفعال والحروف. أما في الأسماء فهو أن يتضمَّن اسم معنى اسم آخر؛ لإفادة معنى الاسمين جميعا، كقوله تعالى: (حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الحَق)(الأعراف: 105)؛ إذ تضمّن "حقيق" معنى "حريص" ليفيد أنه محقوق بقول الحق، وحريص عليه. وأما في الأفعال فهو أن تُضمِّن فعلا معنى فعل آخر يكون فيه معنى الفعلين جميعا، ويكون الفعل متعديا بحرف فيأتي متعديا بحرف آخر ليس مما يُتعدَّى به، فيجب تأويل الفعل، كقوله تعالى: (يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ)(الإنسان: 6)، ضمَّن "يشرب" معنى "يروي" لأن الفعل الأول لا يتعدى بالباء بل يتعدى بنفسه مباشرة، ولكن أريد باللفظ هنا معنى الفعلين "الشرب" و"الرَّي". وعلى رأي الكوفيين هناك تناوب بين حروف الجر، و"الباء" لأنها هنا بمعنى "من".[1]

وتناول هذا الباب ابن قتيبة تحت عنوان: "باب دخول بعض الصفات مكان بعض"وساق له عددا من الأمثلة، نحو: يُقال: جلستُ إلى جماعة بمعنى جلست فيهم، ويُقال: رضيتُ عليك بمعنى: رضيتُ عنك، ورميتُ على القوس بمعنى عن القوس.[2]

وإذا قمنا بتحليل جملة من الجمل السابقة فإننا نجد الآتي:

رضيت عنك ⟵ استبدال (استبدل بِ"عن" حرف الجر على)

رضيت عليك.

ويقول ابن جني عن التضمين: والفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدّى بحرف، والآخر بحرف آخر فإن العرب تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك يقع الحرف مع ما هو في معناه، نحو قوله تعالى: (

---

[1] انظر: الزركشي، محمد، **البرهان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ج2، ص388، ص389.

[2] انظر: ابن قتيبة، محمد، **أدب الكاتب**،شرح: علي فاعور، (بيروت: دار الكتب العلمية) 1988م، ص331، 332

مَنْ أَنْصَارِي إِلى اللهِ) (الصف:14) بمعنى من ينضاف في نصرتي إلى الله، ونحو قوله تعالى: (هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى) (النازعات: 18) بمعنى أدعوك وأرشدك إلى أن تزكّى. [1]

ويقول عنه ابن هشام: قد يُشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويُسمَّى ذلك تضمينا. وفائدته أن تؤدي كلمة معنى كلمتين، مثل قوله تعالى: ((أُحِلَّ لَكُم لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلى نِسَائِكُم)(البقرة: 187) ضمّن الرفث معنى الإفضاء، فعُدّي بإلى مثل قوله تعالى (وقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُم إِلى بَعْضٍ) (النساء: 11)، (والأصل في (الرّفث) أن يتعدّى بحرف الباء لا بإلى ، أرفث فلانٌ بامرأته.

، وكقوله تعالى: (واللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِن المـُصْلِح) (البقرة: 220) جاء "يعلم" هنا بمعنى يُميّز؛ ولذلك تعدّى بحرف الجر "من" لابنفسه مباشرة، وهو الأصل في الفعل يعلم.[2]

وإذا قمنا بتحليل العبارة الأخيرة فإننا نجد الآتي:

والله يميز المفسد من المصلح ⟵ استبدال

والله يعلم المفسد من المصلح.

يقول ابن السراج عن هذه الظاهرة : واعلم أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها موضع بعض إذا تقاربت المعاني، فيقولون: فلان بمكة وفي مكة، وإنما جاز الأمران لأنه إذا قيل فلان بموضع كذا وكذا فقد عنيت اتصاله والتصاقه بذلك المكان، وإذا قيل: في موضع كذا فقد خبرت ب "في" عن احتوائه إياه، وإحاطته به ، فإذا تقارب الحرفان فإن هذا التقارب يُجيز التعاقب بينهما، وإذا اختلف معناهما لم يجز التعاقب، فلا يجوز قول: "كتبتُ إلى القلم"، ولا "مررت في عمرو" .[3]

و يقول الصبان: مذهب النحاة البصريين أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض قياسا كما لا تنوب حروف النصب والجزم عن بعض، وما جاء على هذا النحو فهو من تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدّى بذلك الحرف، أو على الشذوذ، فالتجّوز عند

---

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، مرجع سابق، ج2،ص308- 310

[2] انظر: ابن هشام، **مغني اللبيب**،تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، (بيروت: المكتبة العصرية)، 1991م، ج2، ص79-792.

[3] انظر: ابن السراج، محمد، **الأصول في النحو**، مرجع سابق، ج1، ص414.

البصريين في غير الحرف، وهو الفعل، أو في الحرف على سبيل الشذوذ، ويرى الكوفيون جواز تناوب حروف الجر عن بعضها، ووافقهم في ذلك بعض المتأخرين من النحاة، مثل ابن هشام الأنصاري، وحجّتهم في ذلك أن مذهب البصريين أقل تعسّفا.[1]

ويتّفق كل من تعرض لموضوع التضمين أن الغرض منه هو: إعطاء كلمة واحدة بُعدا أكبر في الدلالة؛ لتدل على معنين، عن طريق: صيغة الكلمة الأولى، وعن طريق ما دلّ عليه الحرف المستلزم للصيغة الأخرى، وما تحمله من معنى.[2]

ويرجع سبب وجود هذه الظاهرة في النحو العربي إلى محاولة تأويل بعض التراكيب اللغوية المتعارضة مع ظاهر القواعد النحوية؛ إذ يتعدى الفعل بحرف جر غير ما يتعدى به، أو يتحول من التعدي إلى اللزوم، فيحاول النحاة رد التراكيب إلى قاعدة عامة تحكم استعمال الفعل أو الحرف.[3] من ذلك الفعل (خالف) في قوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الذِيْن يُخالِفُون عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبهُم فِتْنةٌ) (النور: 63)وهو فعل لازم لكنه تعدى هما بحرف الجر عن لأنه تضمن معنى فعل آخر هو "صدّ"أو "أعرض" اللذان يتعديان بحرف الجر"عن"، إذ يُقال: صدّ وأعرض عنه.[4]

وبتحليل العبارة السابقة يتضح الآتي:

فليحذر الذين يصدون عن أمره ⟵ استبدال

فليحذر الذين يُخالفون عن أمره.

فالبنية العميقة هي (فاليحذر الذين يصدون عن أمره) ثم تم استبدال الفعل يخالف بالفعل يصدّ. فظهرت البنية السطحية بشكل (فلْيَحذر الذينَ يُخَالفُون عَن أَمْرِهِ) (النور: 63).

---

[1] انظر: الصبان، **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، (بيروت: دار الفكر) ج2، ص210

[2] انظر: راشد، الصادق، **دور الحرف في أداء معنى الجملة**، مرجع سابق، ص253.

[3] انظر **المرجع السابق نفسه**، ص261، ص262.

[4] انظر:الاندلسي، أبو حيان ، **تفسير البحر المحيط**، ج6، ص437.

والتضمين هو نوع من الاستبدال الذهني الذي لا يظهر إلا أثره في التركيب، إذ يُستبدل فعل بفعلٍ آخر متناسب مع حرف الجر الوارد في النص، ومتوافق مع معنى الفعل المحذوف،و هناك خلافات بين النحاة القدامى في تحليل هذه الظاهرة اللغوى، فيرى البصريون أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض قياسًا كما لا تنوب حروف الجزم والنصب عن بعض، وَيَرَوْن إبقاء الحرف على معناه الأول، إمَّا بتأويلٍ يقبله اللفظ، أو تضمين الفعل معنى فعلٍ آخر يتعدَّى بذلك الحرف، ما لا يمكن فيه ذلك، فهو من وضع أحد الحرفين مَوْضع الآخر على سبيل الشذوذ.[1] مثل قوله تعالى: (ولا تُلْقُوا بِأيْدِيكُم إِلى التَّهْلُكة) (البقرة: 195) ،(فيرى البصريون أن الفعل تلقوا مُضمّن معنى لا تُفضوا، وقيل: حُذف المفعول به والباء بمعنى السببيه، وتقدير الكلام: لا تلقوا أنفسكم بسبب أيديكم، كما يُقال: لا تُفسد حالك برأيك.[2]

ولا تفضوا بأيديكم إلى التهلكة ⟵ استبدال

ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

ومذهب الكوفيين ومن تابعهم أنَّ حروف الجر قد ينوب بعضها عن بعض، كما في قوله تعالى (لَيَجْمَعنَّكُم إلى يَوْمِ القِيَامَةِ) 0النساء: 87)، بمعنى حرف الجر في، وقال البصريون ضمن يجمع معنى يضم.[3] و مثل قوله تعالى: (فاسْأَل بِه خَبِيرًا) (الفرقان: 59) الباء بمعنى (من) بدليل قوله تعالى (يَسْأَلُون عَنْ أَنْبَائِكُم) (الأحزاب:20) والبصريون يرون أن فعل السؤال ضُمّن معنى الاعتناء والاهتمام.4

فالكوفيون يرون أن الاستبدال يتم في الحروف لا في الأفعال، ويمكن تمثيل ذلك بالرسم الآتي:

---

[1] انظر: المرادي، **الجنى الداني في حروف المعاني**، ص46

[2] انظر: المرجع السابق نفسه، ص52

3 انظر ، الصبَّان، **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، 2/ 213.

[4] انظر: السيوطي، **همع الهوامع**، ج4، ص161،162

ليجمعنكم في يوم القيامة ← استبدال (استبدل بحرف الجر في الحرف إلى)

ليجمعنكم إلى يوم القيامة.

والبصريون يرون أن الاستبدال تم في الفعل لا في الحرف، ويمكن تمثيل ذلك بالرسم الآتي:

ليضمنّكم إلى يوم القيامة ← استبدال (استبدل بالفعل ضمّ الفعل جمع)

ليجمعنكم إلى يوم القيامة.

وقد اختار بعض النحاة مذهب الكوفيين مثل:السيوطي الذي يرى أن مذهب الكوفيين أقل تعسفا من البصريين في هذا الباب،.[1]، وابن السراج الذي رأي أن حروف الجر تقوم مقام بعض بشرط أن يتقارب الحرفان في المعنى تقاربا يصلح للمعاقبة، أما إذا تباين معنى الحرفين لم يجز، وقد قالت العرب: كنتُ في المال حربا، وبالمال حربا.وهو يستعلي الناس في كفه، وبكفّه.[2]

وابن هشام أيضا الذي نوّه إلى أن حروف الجر قد تنوب عن بعضها، وليست النيابة في كل موضع، فلا يصح أن يُقال: مررت في عمرو ،بدلا من : مررت به، ولا: ودخلت من زيد، بدلا من:دخلت عليه، وكتبتُ إلى القلم، بدلا من: كتبتُ به [3]، وكذلك ابن جني ، فكان يرى أن حرف الجر يكون بمعنى حرفٍ آخر في موضع دون موضع، حسب الحاجة المعنوية التي تدعو إلى ذلك، ولا يصح هذا في كل حال وفي كل جملة؛ إذ لا بد من تقييد قضية تناوب حروف الجر،ولا تُتْرك هكذا غُفلا دون شرط أو قيد، إذ لو صحّ ذلك لجاز أن

---

1 انظر السيوطي، **همع الهوامع**، 4/ 215.

2 انظر: ابن السراج، محمد، **الأصول في النحو**، ج1، ص414، 415.

3 انظر ابن هشام، **مغني اللبيب**، 2/ 755.

يُقال: عمرو في الفرس بدلا من عليه، وأن يُقال: رويتُ الكلام بزيد ، بدلا من رويت عنه.[1]

وحجة البصريين: أن التجوُّز في الفعل أسهل منه في الحرف[2]، أما الكوفيون ومن وافقهم فيَرَوْن هذا المذهب أقل تعسُّفًا، إذ لا حاجة للتأويل أو التضمين أو الحكم بالشذوذ، لاسيَّما مع كثرة الشواهد التي استُخدِمت فيها الحروف بمعانٍ مختلفة. فيميلون إلى ترجيح السماع.

والحقيقة إن تبني مذهب الكوفيين جملة وتفصيلا، والقول بجواز تناوب حروف الجر دون ضبط أو قيد يحيل اللغة إلى فوضى عارمة.

الخاتمة:

استهدف البحث بمنهجية وصفية تحليلية ظاهرة تناوب حروف الجر في الدرس النحوي العربي، وناقش أسباب شيوع استخدام حروف الجر في اللغة، ووظيفة الحروف ، وعلّة عمل الحروف، وزيادة بعض حروف الجر، وقضية التضمين أو تناوب حروف الجر، وخلَص إلى نتائج ،أهمها: هي: سبب وجود ظاهرة تناوب حروف الجر في الدرس النحوي هو محاولة تأويل بعض التراكيب اللغوية المتعارضة مع ظاهر القواعد النحوية؛ إذ يتعدى الفعل بحرف جر غير ما يتعدى به، أو يتحول من التعدي إلى اللزوم، فيحاول النحاة رد التراكيب إلى قاعدة عامة تحكم استعمال الفعل أو الحرف، كما خلص البحثُ إلى ضرورة ضبط الأخذ بتناوب حروف الجر بمنهجية محدّدة حتى لا يتحول الأمر إلى فوضى لغوية.

---

[1] انظر: ابن جني، أبوالفتح عثمان، **الخصائص**، ج2، ص308

2 انظر: ابن هشام، **مغني اللبيب**، 2/ 755.

المراجع

-ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص،تحقيق: محمد النجار، (بيروت: دار الكتاب العربي).

ابن السراج، محمد، الأصول في النحو، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة) 1999م

-ابن هشام، قطر الندى وبل الصدى، (بيروت: المكتبة العصرية) 1994م

مغني اللبيب، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، (بيروت: المكتبة العصرية)، 1991م.

- ابن قتيبة، محمد، أدب الكاتب،شرح: علي فاعور، (بيروت: دار الكتب العلمية)

-ابن منظور، محمد، لسان العرب، (بيروت: دار صادر) 1414هـ

- ابن يعيش، علي، شرح المفصل، (عالم الكتب: بيروت)

- الأندلسي، أبو حيان ، تفسير البحر الميحط،تحقيق عادل عبدالجواد وعلي معوض، بيروت:دار الكتب العلمية، 2001م.

- الخولي، محمد، معجم علم اللغة النظري، بيروت، مكتبة لبنان، 1991م

- راشد، الصادق، دور الحرف في أداء معنى الجملة، بنغازي،منشورات جامعة قاريونس، 1996م

- الزركشي، محمد، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية) 1988م

- السيوطي، همع الهوامع، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم (القاهرة: عالم الكتب)2001م.

- الصبَّان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، صححه: مصطفى حسين، (بيروت:دار الفكر).

- عمار، محمود، الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر،(الرياض:دار عالم الكتب)1998م

- المرادي، الحسن، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد فاضل،(بيروت: دار الآفاق) 1983م